

(زهوكَ لا يُعطيكَ ما تبتغيه)

ألمجرُّ درِ أنِّكَ كتبتَ نصِّكَ الذي تسميُّه الأجد

ألمجرُّ درِ أنِّكَ كتبتَ نصِّكَ الأجدُّ كيفما كان

ألمجرُّ درِ ذلكَ صرتَ تشعرُ أنِّكَ في المقدِّمة

أنِّكَ تجاوزتَ الشعراءَ كلِّهم

أنِّكَ تجسِّدُ نبضَ العصرِ، نبضَ المستقبلِ البعيد

أنِّكَ صرتَ ترى شعورَ الشَّاطرينِ منَ الماضي

وترى شعورَ التفعيلةِ مثلاًهُ أيضاً

حتى أحرقتَ ديوانَ المُتنبِّي وديوانَ السيِّتاب

وقصيدةَ رُبِّ ورقاءَ هتوفٍ في الضُّحى أحرقتَها

حتى صنتُ نفسي عمَّالاً يُدزِّسُ نفسي

حتى شمعةَ العرسِ ما أجدتَ التأسُّبي

حتى كتابَ قضايا الشُّعراءِ المعاصرينِ تخلَّصتَ منهُ

في الحديقةِ القريبةِ منِ منزلِ برنارٍ دفنتهُ

وعبثت بسقف سوق الصّـفارين ليسقط على رأس الخليل

كُلُّهُ هَذَا لِأَنَّكَ كَتَبْتَ قَصِيدَةً خَطَابِيَّةً لَا وَزْنَ لَهَا ،

قَصِيدَةً تُغَطِّي التَّعَمِيمَةَ تَقْرِيرِيَّةً تَدَّهَا

أَلْمَجْرُودَ ذَلِكَ طَنَنْتَ أَزَّكَ أَنْتَ

فِيالكَ مِنْ أَنْتَ ، وَيَا لَكَ مِنْ مُبَدِّعٍ نَوْعِي

وَيَا لِإِبْدَاعِكَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ سِوَى انْخِرَاطٍ نَمَطِيٍّ فِي اسْتِهْلَاكِ الشَّكْلِ

فِي الْكُتَابَةِ عَلَى شَكْلِ وَاحِدٍ ، فَلِمَ هَذَا الاسْتِعْلَاءُ

هُوَ أَعْدَى أَعْدَائِكَ فَاقْضِ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْكَ

قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْكَ الْإِنْبَهَارُ بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ ، بِمَا أَنْتَ تَأْتِيهِ فِيهِ

حَتَّى نَصُّكَ الْأَجْدُّ لَمْ يَخْرُجْ مُوَهَّبَتَكَ مِنْ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ

إِنَّكَ تَعْتَرِفُ بِذَلِكَ إِنْ خَلَوْتَ مَعَ نَفْسِكَ

فِي لَحْظَةٍ صَدُوقٍ ، فِي لَحْظَةٍ انْقِشَاعِ انْبِهَارِكَ تَعْتَرِفُ

تَلُومُ نَفْسِكَ الَّتِي أَوْفَعَتْ مُوَهَّبَتَكَ فِي حَيْصِ بَيْصِ

تَرَى لُغَتَكَ الْإِجْرَائِيَّةَ لَا تَعْكَسُ حَقِيقَةَ مُوَهَّبَتِكَ فِي نَصِّكَ

لُغَتَكَ النَّاسِجَةَ عَلَى مَنَوَالِ تَجْرِيْبِي

على منوالٍ أثبتت الأيامُ فشلهُ ، أثبتت تلاشيه

مثلما فشلَ إزبُ فينيقيا ، مثلما تلاشت اليومياتُ الخطابيةُ الجافة

يومياتُ مَنْ حسبَ أنَّ العالميةَ تُمدحُ لمنْ يتغذَّى بكل حاناتِ العالم

لِمَنْ يتحاشى ما يقعُ ضمنَ نطاقِ محلايِّتهِ ، ضمنَ نطاقِ بيئتهِ

لِمَنْ يُثقلُ النصوصَ بأسماءِ مدنٍ وطبيعةٍ ليس فيها بويب

ليس فيها شباكُ وريقةٍ ، ليس فيها جيكور

ليس فيها جبلُ التوبادِ ، ، ليس فيها جبلُ رضوى

ليس فيها جبلُ الفارةِ ، ليس فيها سوقُ الدعيدعِ ، ليس فيها سوقُ عكاظ

ليس فيها ، ليس فيها... ، فبالبعدِ تيهك

ويا لكَ مِنْ تجريبيِّ صرتَ إلى ما صرتَ إليه

فلا لفظكُ صارَ يُرضيكَ ولا معنك

تشعرُ بنوبةِ اكتئابٍ كُلاماً فرغتَ مِنْ كتابةِ نصِّ مِنْ نصوصك

تقولُ لهُ ثكلتكَ أمُّ مٌكَ لِمَ لِمَ تكنُ كما أريد

تُـمـّـّـ تُتعبُ فِكركَ في محاولةِ العثورِ على علاقةِ الإخفاق

وكثيراً ما تَلجأُ إلى فلسفةٍ تُبرِّرُ بها إخفاقَ نصوصك

تَجْعَلُ مِنْهُ كَسْرًا لِنَمَطٍ سَادِ

ثُمَّ تَشُقُّ جَيْدَكَ الْغَائِرَ فِي قَرَارَةٍ ذَاتِكَ

تَصِيحُ وَيْلِي، وَيْلِي، أَنَا الْغَارِقُ فِي النَّمَطِيَّةِ مِنْ رَأْسِي إِلَى أَخْمَصِ قَدَمِي

كُلُّ هَذَا حَوَارٌ دَاخِلِيٌّ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ

لَكِنَّكَ لَمْ تَكُنْ جَادًا فِي وَضْعِ يَدَيْكَ عَلَى الْعَلَّةِ وَفِي عِلَاجِهَا

فَلَقَدْ رَحْتَ تَبَحُّثُ عَنْ حَلٍّ وَفْتِيٍّ سَرِيعٍ

عَنْ صَدِيقٍ يُرِيحُكَ، يَكْتُبُ عَنْ نَصُوصِكَ

يَسْتَفِيضُ بِتَأْوِيلِ إِخْفَاتِكَ كَمَا تَسْتَفِيضُ بِمَسَارَةٍ فِي تَأْوِيلِ خُطُوطِ فَنجَانٍ مَعُوجَةٍ

يَجْعَلُ خَطَأَكَ انْزِيحًا دَلَالِيًّا لَمْ يَسْبِقْكَ إِلَيْهِ أَحَدٌ

يَجْعَلُ تَعَدُّكَ عَلَى اللُّغَةِ جَرَأَةً فِي مَحَلِّهَا

حَتَّى بَرُودِ نَفْسِكَ الْفَاتِلِ يَجْعَلُهُ تَخَلُّصًا مِنْ غِنَائِيَّةٍ مُسْتَهْلَكَةٍ

يَجْعَلُهُ جَاذِبِيَّةً صَامِتَةً تَأْخُذُكَ إِلَى مَجَالٍ خَصْبٍ، إِلَى آفَاقِ التَّأَمُّلِ

يَجْعَلُهُ، يَجْعَلُهُ... فَلَا أَسْهَلَ مِنْ نَقْدِ إِطْرَائِيٍّ تَزْوِيقِي

مَا أَسْهَلَ أَنْ يَتَفَوَّسَ قَـ خِيَالُ تَحْلِيلِ مَنْتَجِكَ الْإِطْرَائِيَّ عَلَى خِيَالِ نَصُوصِكَ

مَا أَسْهَلَ أَنْ يُرِيحَكَ صَاحِبُكَ مِنْ أَلْمِ صَدْقِكَ مَعَ نَفْسِكَ إِنَّ خُلُوتَ بِهَا

ما أسهل ذلك، لكن قُلْ لي هل يمنحُ الإطراءُ نصَّكَ شيئاً من حياة

هل يمنحُكَ الإطراءُ الوقتيَّ حياةً بعد موتِكَ

إنَّكَ تعرفُ الجوابَ مثلما أعرفُهُ أنا، أنا وصاحبُكَ الذي أشادَ بك

تعرفُ ولا تُرتَّبُ أثراً على عرفانِكَ

مثلما تحضرُ تشييعَ ميِّتٍ تتردِّمُ عليه

تحيا فقدهُ وتعرفُ أنَّكَ ستُحمَلُ مثلما يُحمَلُ

تعرفُ لكنَّكَ لا تُرتَّبُ أثراً على عرفانِكَ

كعرفانِكَ ببرودِ نصِّكَ المُملِّ القاتلِ

بروده الذي لا يجعلُ لكِ قُرَّاءةً حقيقيين

إلا تسعة أنفاريَّ أهديتهم ديوانَكَ في حفلٍ توقيعٍ باردٍ أيضاً

يُجاملونكَ بابتسامةٍ جليديَّةٍ تُمَّـ ينفضُّون من حولِكَ

يقرأُ واحدٌ منهم لكِ لقراءتِكَ لهُ

يكتبُ عن ديوانِكَ مثلما كتبتَ عن ديوانِهِ

تُـمَّـ وحدكِ تقرأُ ما كتبَ وحدكِ

وحدكِ مثلما قرأَ هو وحدَهُ ما كتبتِ

هذا هو مجدُّكَ الذي صار على هذه الكيفيَّة

مجدُّكَ الذي ينبعُ منه زَهْوُوك

زَهْوُوك الذي لا يُعطيك ما تبتغيه.